حرف الطاء

الطُّفَيْلُ بن عمرو الدَّوْسيُّ رضي الله عنه

الذي أحرق صنم قومه

صحابي، أزدي، دوسي، يُلَقَّب بذي النور. سيد قبيلة دَوْس، التي كانت تعبد صنماً خاصاً بها يدعى: ذا الكفَّيْن. وكان «الطفيل» سيداً من سادات العرب، وشريفاً من أشرافها، الذين يؤمون مكة للطواف بالكعبة المشرفة، وكانت قريش تقدر «الطفيل» وتحترمه، وفي أول زيارة قام بها «الطفيل» إلى مكة بعد ظهور النبي ﷺ، ودعوة الناس إلى الإسلام، ونبذ الشرك والأصنام، حَذَّرت قريش «الطفيل» من لقاء النبي ﷺ وسماع ما يقوله، حتى اضطروه إلى جعل القطن في أذنيه، ليمنع وصول كلام النبي ﷺ إليه، فَلْنُنْصِتْ إلى حديث ابن إسحاق الذي أخرجه ابن هشام في سيرته[1] لنتعرف إلى ما كان من أمر سيد دَوْس، وما جرى له في تلك الزيارة، وإلى أين انتهت تحذيرات قريش له. [قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه، يبذل لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش، حين منعه الله منهم يحذرونه الناس، ومن قدم عليهم من العرب.

وكان «الطفيل بن عمرو الدَّوْسيُّ» يحدِّث: أنه قدم مكة،

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٠).

ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان «الطفيل» رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل[1] بنا، وقد فَرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وإنَّما كالسحر يفرِّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمَنَّه ولا تسمعَنَّ منه شيئاً.

قال: فوالله، ما زالوا بي حتى أجمعت أَلَّا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوتُ في أذنيَّ حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[2]، فَرَقاً[3] من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمتُ منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعتُ كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكلَ أمي! والله! إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثتُ حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتَّبعته، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله! ما برحوا يُخَوِّفُونني أَمْرَك حتى سددتُ أُذُنِيَّ بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلَّا أن يُسْمِعَني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرك.

---

(١) أعضل: اشتد أمره.
(٢) الكُرْسُف: القطن.
(٣) فَرَقاً: خوفاً وفزعاً.

قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله! ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمتُ، وشهدتُ شهادة الحق، وقلتُ: يا نبي الله، إني امرؤٌ مطاعٌ في قومي، وأنا راجعٌ إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعل لي آيةً تكون لي عوناً فيما أدعوهم إليه، فقال: (**اللَّهم! اجعل له آية**). قال: فخرجتُ إلى قومي، حتى إذا كنتُ بثنيَّةٍ تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عينَيَّ مثلُ المصباح، فقلت: اللَّهم! في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَةٌ وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحوَّل، فوقعَ في رأس سوطي، قال: فجعل الحاضر يتراؤون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلَّق، وأنا أهبط إليهم من الثنيَّة، قال: حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم.

قال: فلما نزلتُ أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً. قال: فقلتُ: إليك عني، يا أبت! فلستُ منك ولستَ مني. قال: ولِمَ؟ يا بُنَيَّ، قال: قلتُ: أسلمتُ وتابعتُ دينَ «محمد» ﷺ. قال: أي بُنَيَّ، فديني دينك.

قال: فقلتُ: فاذهبْ فاغتسلْ وطهرْ ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما عُلِّمْتُ. قال: فذهب فاغتسل وطَهَّر ثيابه، قال: ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام، فأسلم. قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلتُ: إليك عني، فلستُ منك ولستِ مني، قالت: لِمَ؟ بأبي أنت وأمي، قال: قلتُ: قد فَرَّق بيني وبينك الإسلام، وتابعتُ دين «محمد» ﷺ، قالت: فديني دينُك.

قال: قلتُ: فاذهبي إلى حِنَا ذي الشِّرى ـ قال ابن هشام: ويقال: حمى ذي الشَّرى ـ فتطهري منه.

قال: وكان ذو الشَّرى صنماً لدوس، وكان الحمى حمى حَمَوْه له، وبه وشَلٌ[١] من ماء يهبط من جبل.

قال: فقالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصبية من ذي الشَّرى شيئاً؟ قال: قلتُ: لا، أنا ضامنٌ لذلك، فذهبتْ، فاغتسلتْ، ثم جاءتْ فعرضتُ عليها الإسلام، فأسلمتْ.

ثم دعوتُ دَوْساً إلى الإسلام، فأبطأوا عليَّ، ثم جئتُ رسول الله ﷺ بمكة، فقلت له: يا نبي الله، إنه قد غلبني على دَوْسٍ الزِّنَا، فَادْعُ الله عليهم، فقال: (**اللَّهم! اهْدِ دوساً، ارجعْ إلى قومك فادْعُهم وارفُقْ بهم**).

قال: فلم أَزَلْ بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى «بدر» و«أُحُدٌ» و«الخندقُ»، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين].

هذا ما كان من حديث «الطفيل بن عمرو الدوسي» عن إسلامه وإسلام قومه، ولكن ما الذي صنعه «الطفيل» للإسلام، وفي أفيائه؟

فَلْنَسْتَمِعْ إلى «ابن هشام» يحدثنا عن ذلك، كما جاء في سيرته النبوية[٢]: [قال: ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسولَهُ ﷺ، فلما ارتدت العرب، خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فَرَغُوا من «طليحة» ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع

---

(١) وَشَلٌ: ماء قليل.

(٢) ابن هشام (١/ ٤٢٣).

المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه «عمرو بن الطفيل»، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبرُوها لي: رأيت أن رأسي حُلِقَ، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها، وأرى ابني يطلبني حثيثاً، ثم رأيته حُبِسَ عني، قالوا: خيراً.

قال: أمَّا أنا والله! فقد أَوَّلْتُها، قالوا: ماذا؟

قال: أما حَلْق رأسي فَوَضْعُه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تُحْفَرُ لي فأُغَيَّبُ فيها، وأما طلب ابني إياي، ثم حبسه عني، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني، فقتل ـ رحمه الله ـ شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم اسْتَبَلَّ[1] منها، ثم قتل عام «اليرموك» في زمن «عمر» رضي الله عنه شهيداً][2].

وكان جهاد «الطفيل بن عمرو» غير قاصر على الخروج إلى ساحات القتال، وقراع الأبطال، وإنزال الهزيمة والنكال، بأهل الشرك والضلال، فإن ذلك كله لم يكن يكفيه؛ بل كان أقلَّ ما يرضيه، فما الذي تُراه يفكر فيه؟

كان يغيظه صنم «عمرو بن حُمَمَةَ» الذي كانوا يسمونه «ذا الكَفَّيْن»، لذا، فقد عَزمَ «الطفيل» على شفاء غيظه، والبرهان لمن كان يعبده ويتذلل إليه أنه كانوا منه في غرور، وأنه لم يكن إلا خشبة لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع، فأتى إلى رسول الله ﷺ واستأذنه في الخروج إلى «ذي الكَفَّيْن» وإحراقه أمام من لم يزل يرجو

(١) اسْتَبَلَّ: شُفِيَ.
(٢) ابن هشام (١/ ٤٢٣).

منه الخير، ويتوجَّس منه الضر، فأذن له رسول الله ﷺ. وخرج «الطفيل بن عمرو» ومعه بعض الرجال، حتى إذا وصلوا إلى مقر الصنم، أمر ببعض الحطب، وراح يوقد الواحدة تلو الأخرى ويسجرها في جوفه، أمام بعض المشركين الذين يقدسونه، ويتوقعون الأذى للطفيل جزاء ما اقترفه تجاه ذي الكفَّيْن»، وكان «الطفيل» وهو يقومُ بإحراق الصنم يرتجز ويقول:

يا ذا الكَفَيْن لستُ من عُبَّادِكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشدتُ النار في فؤادكا

ولم يلبث ذو الكَفَّيْن أن أصبح رماداً تذروه الرياح، وعلم الناس أنهم قد خدعوا به فثابوا إلى رشدهم، وأيقنوا أن الله مولاهم، وهو نعم المولى ونعم النصير، وكان «الطفيل» سبباً لإسلامهم، رحمه الله تعالى، وأجزل مثوبته.

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

صاحب الأوسمة الفريدة

صحابي، قرشيٌّ، تَيْمِيٌّ، أبوه «عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب»، وأمه «الصَّعْبة بنت عبد الله بن مالك» الحضرمية، وأخوها «العلاء بن الحضرمي»، وقد أكرمها الله تعالى بالإسلام.

كان «طلحة» ذا مناقب عديدة، فهو أحد رجال الشورى الستة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

ونال من رسول الله ﷺ أوسمة فريدة، فيوم غزوة «ذات العشيرة» لقَّبه بـ «طلحة الفياض»، ويوم «أُحُدٍ» لقَّبه بِـ «طلحة الخير»، ويوم حُنَيْن لقَّبه بـ «طلحة الجود» ونعته في مناسبات أخرى بنعوت لم ينعت بها سواه، فسماه: «الصبيح» و«الفصيح» و«المليح»، ثم زاد في تكريمه حين قال: **(طلحة والزبير جاراي في الجنة)** فأعظم برسول الله ﷺ من جار! وأكرم بذلك الجوار!

ولكن متى أسلم «طلحة»؟ وكيف أسلم؟ وما الذي ناله من جراء إسلامه؟ وما الذي ينتظره عند الله؟

يقول ابن الأثير في ترجمته لطلحة بن عبيد الله: [وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، دعاه «أبو بكر الصديق» إلى الإسلام، فأخذه ودخل به على رسول الله ﷺ، فلما أسلم هو و«أبو بكر» أخذهما «نوفل بن خويلد بن العدوية» فشَدَّهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تَيْم، وكان «نوفل» أشد قريش، فلذلك كان «أبو بكر»

و«طلحة» يسميان «القرينين»، وقيل: إن الذي قرنهما «عثمان بن عبيد الله» أخو «طلحة» فشدهما ليمنعهما عن الصلاة، وعن دينهما، فلم يجيباه، فلم يَرُعْهُمَا إلا وهما مطلقان يصليان، ولما أسلم «طلحة» و«الزبير» آخى رسول الله ﷺ بينهما بمكة قبل الهجرة، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة، آخى رسول الله ﷺ بين «طلحة» وبين «أبي أيوب الأنصاري] ويضيف ابن الأثير:

[ولم يشهد بدراً؛ لأنه كان بالشام، فقدم بعد رجوع رسول الله ﷺ من «بدر» فكَلَّم رسول الله ﷺ في سهمه، فقال: (**لك سهمك**) قال: وأجري؟ قال: (**وأجرك**)، فقيل: كان في الشام تاجراً، وقيل: بل أرسله رسول الله ﷺ ومعه «سعيد بن زيد» إلى طريق الشام يتجسَّسان الأخبار، ثم رجعا إلى المدينة، وهذا أصح، ولولا ذلك لم يطلب سهمه وأجره.

وشهد «أُحُداً» وما بعدها من المشاهد، وبايع «بيعة الرضوان»، وأبلى يوم «أُحُدٍ» بلاءً عظيماً، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه، واتقى عنه النبل بيده، حق شُلَّت إِصْبَعُه، وضرب على رأسه، وحمَلَ رسول الله ﷺ على ظهره حتى صَعِدَ الصخرة].

وتابع ابن الأثير يقول: [أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الشافعي، وغير واحد، بإسنادهم إلى «أبي عيسى»[1]، محمد بن عيسى»، قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا يونس بن بُكَيْر، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده عبد الله بن الزبير، عن الزبير، قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأَقْعَدَ تحته «طلحة» فصَعِدَ النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة،

(١) الترمذي في المناقب (الحديث: ٣٧٣٨).

قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: **(أوجب طلحة)**].

[وعن مكي بن إبراهيم، حدثنا الصلت بن دينار، عن أبي نَضْرة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: **(من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله)**]. وإن ما ينتظر «طلحة» عند الله جنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت للمتقين. ويتابع ابن الأثير قوله: [أخبرنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الطبري بإسناده عن أبي يعلى، عن أبي كريب، حدثنا يونس بن بُكَيْر، عن طلحة بن يحيى، عن موسى وعيسى ابني طلحة، عن أبيهما: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأله عمن قضى نحبه، من هو؟ قال: فسأله الأعرابي، فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني طلعت من باب المسجد، وعليَّ ثيابٌ خضرٌ، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: **(أين السائل عمَّن قضى نحبه؟)** قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، قال: **(هذا مِمَّن قضى نحبه)**]. وروى عبد الرحمٰن بن مهدي، عن حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، قال: قال «طلحة» يوم الجمل:

نـدمـت نـدامـة الـكُـسَـعِـيِّ لـمَّـا ... شَـرِيْـتُ رضـا بـنـي جَـرْم بـرغـمـي

اللَّهم! خذ لعثمان مني حتى ترضى[1]، وإنما قال ذلك لأنه كان شديداً على «عثمان» رضي الله عنه]. وروي عن «علي» رضي الله عنه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]. وجاء في حديث حماد بن سلمة، حدثنا علي بن زيد، عن سعيد بن المسيَّب: أن رجلاً كان يقع في «علي» و«طلحة» و«الزبير»، فجعل

(١) الاستيعاب (٢/ ٧٦٦).

«سعد بن مالك ـ بن أبي وقاص ـ ينهاه، ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام «سعد» فصلَّى ركعتين، ثم قال: اللهم! إن كان مُسْخِطاً لك فيما يقول، فأرني فيه آفة، واجعله للناس آية، فخرج الرجل، فإذا هو ببخْتِيّ[١] يَشُقُّ الناس، فأخذه بالبلاط، فوضعه بين كِرْكِرَته والبلاط، فسحقه حتى قتله، فأنا رأيت اناس يتبعون «سعداً» ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق، أُجيبت دعوتك»[٢].

وكان «طلحة» كثير المال، وربما منعه ماله النوم، وتسبَّب له بالأرق، وقد رأته امرأته «سُعْدَى» ذات ليلة في هم وكرب يمنعانه من النوم، فقالت له: ما لي أراك مهموماً؟ يا أبا محمد، أرابك مني شيء؟ قال: لا، والله! ما رابني منك شيء، ولنعم الصاحبة أنت، ولكن اجتمع لديَّ مال كثير، وهذا ما أهمني وأكربني، وأنا لا أدري ماذا أصنع به، فقالت: أرسل إلى أهلك وقومك، فاقسمه بينهم، فما زال غلمانه يسعون به في سكك المدينة حتى نفِد، فلما فرغوا نام «طلحة» بعد أن زال همه، وانكشف كربه. وقال سفيان بن عيينة: كانت غلة «طلحة» كل يوم ألفاً وافياً، قال الواقدي: والوافي وزنه وزن الدينار، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبَغْلِيَّة[٣].

وكان «طلحة» آدم، حسن الوجه، كثير الشعر، ليس بالجعد القَطَطِ ولا بالسَّبط، وكان لا يغير شيبه، وقيل: كان أبيض يضرب إلى الحمرة، مربوعاً، إلى القصر أقرب، رحب الصدر، عريض المنكبين، إذا التفت التفت جميعاً، ضخم القدمين[٤]. ويوم الجمل

(١) البختي: الجمل الطويل العنق.
(٢) الاستيعاب (٧٦٤).
(٣) انظر المعجم الكبير للطبراني (١/ ١٩٦).
(٤) أسد الغابة (٢/ ٤٩٣).

دعاه «عليٌّ» والزبيرَ، فذكَّرهما كلاماً وأشياء من سوابقهما، فخرجا من صفوف المقاتلين، وجاء «طلحة» سهمٌ غَرْبٌ فسقط صريعاً، وقيل: رماه به مروان بن الحكم.

قال الشعبي: لما قتل «طلحة» ورآه «عليٌّ» مقتولاً، جعل يمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيز عليَّ أبا محمد، أن أراك مُجدَّلاً تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري، وترحَّم عليه، وقال: ليتني مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وبكى هو وأصحابه عليه، وسمع رجلاً ينشد:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويُبْعِدُه الفقرُ

فقال: ذاك «أبو محمد، طلحة بن عبيد الله» رحمه الله .